و«الطهطاوى » فى « تخليص الإبريز » . فقد لاحظ التدنى الحضارى وفقر الحياة الاجتماعية ووخم الناس وأحوالهم ، ومعاناة الناس فى معايشهم مما كان له تأثيره فى دعوتهما إلى الأخذ بأساليب الإصلاح والحضارة للخروج من التخلف . يقول الشدياق فى وصف مصر وأهلها : « وهى مدينة غاصة باللذات السائغة متدفقة بالشهوات السابغة توافق المحرورين من الرجال خلافاً لما قاله عبد اللطيف البغدادى ، يجد فيها الغرب ملهى ومسكناً وينسى عندها أهلاً ووطناً ، ومن خواصها أن ما يذهب من أجسام رجالها يدخل فى أجسام نسائها فترى فيها النساء سمان كالأقط بالسمن على الجوع ، والرجال كالحشف بالشيرج على الشبع » . ويقول : « ومنها أن العالِم فيها عالمٌ ، والأديب أديبٌ والفقيه فقيه ، والشاعر شاعر ، والفاسق فاسق ، والفاجر فاجر » . ويقول : « ومن ذلك أن كثيراً من البنات اللاتى يغسلن أقمصتهن فى بعض مجارى النيل يتعمَّمن بقمصانهن بعد غسيلهن ويمشين عريانات » [٨] . فهذه الملاحظات التى يذكرها الشدياق عن مصر وأهلها انطباعات أديب لا مفكر ، فيها مبالغة الوصف، وأحادية الرؤية ؛ وإلا فما معنى أن يقول عن مصر أو القاهرة إنها مدينة غاصة باللذات السائغة ، ثم يقول فى موضع آخر إن العالم فيها عالم والأديب أديب والشاعر شاعر والفقيه فقيه والفاسق فاسق والفاجر فاجر ، ويقصد أنها تجمع كل طبائع